# مقامة الإكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب، عبد الكريم الجراعي: دراسة وتحقيق، (الجزء الثاني)

راسم محمد الطيب [1*]، عبد الرزاق عبد الله الربيقي [2]
[2،1] قسم اللغة العربية، كلية التربية القصيعة ـ جامعة الزيتونة، ليبيا
rasemm34@gmail.com

# Maqamat Al-Iksir Al-Ratib on some of the virtues of Muhammad Pasha Al-Raghib, Abdul Karim Al-Jara'i Study and investigation, (Part Two)

Rasim Mohammed Al-Tayeb [1*], Abdul Razzaq Abdullah Al-Rubaiqi [2]
[1,2] Department of Arabic Language, Faculty of Education, Al-Qasi'a, Al-Zaytouna University, Libya

تاريخ الاستلام: 19-07-2025، تاريخ القبول: 07-09-2025، تاريخ النشر: 20-09-2025

**الملخص:**

تتناول هذه المقامة مدح محمد باشا الراغب، وهو موضوع المقامة الرئيس التي كتبها عبدالكريم الجراعي، وهي مقامة أدبية موضوعها المدح والإشادة، يؤدي بها صاحب المقامة ما يؤدي بها الشاعر بشعره من مدح، ومن هنا جاء المدح غرضاً رئيساً في مقامة الجراعي، الموسومة بـــ( الإكسير الراتب في مدح محمد باشا الراغب)، فكتب الجراعي مقامته التي استهلها بمقدمة طويلة بدأها بالبسملة والحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه المقدمة موضوع اهتمامنا لتحقيق جزئها الأول، الذي نشر في العدد السابع يونيو2023م، بالمجلة اللغوية، كلية اللغات جامعة الزيتونة. والقسم الثاني: يتناول مدح محمد باشا الراغب، وهو موضوع المقامة الرئيس التي كتبها الجراعي، وهو سيكون تتمة لتحقيقنا في الجزء الأول.

**الكلمات المفتاحية:** مقامة الإكسير، الراتب، الجراعي، عبد الكريم، تحقيق.

**Abstract:**

This maqama deals with the praise of Muhammad Pasha Al-Raghib, which is the main subject of the maqama written by Abdul Karim Al-Jara'i. It is a literary maqama whose subject is praise and commendation, in which the author of the maqama expresses what a poet expresses in his poetry of praise. Hence, praise became a main purpose of Al-Jara'i's maqama, entitled (The Regular Elixir in Praise of Muhammad Pasha Al-Raghib). Al-Jara'i wrote his maqama, which he began with a long introduction in which he began with the Basmala, praise and thanks to God Almighty, and prayers and peace be upon the Messenger of God, may God bless him and grant him peace. This introduction was the subject of our research in its first part, which was published in the seventh issue of June 2023, in the Linguistic Journal, Faculty of Languages, Al-Zaytouna University. The second section deals with the praise of Muhammad Pasha Al-Raghib, which is the main subject of the maqama written by Al-Jara'i, and it will be a continuation of our research in the first part.

**Keywords:** Maqamat al-Iksir, al-Ratib, al-Jara'i, Abdul Karim, investigation.

# مقامة الإكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب، عبد الكريم الجراعي: دراسة وتحقيق، (الجزء الثاني)

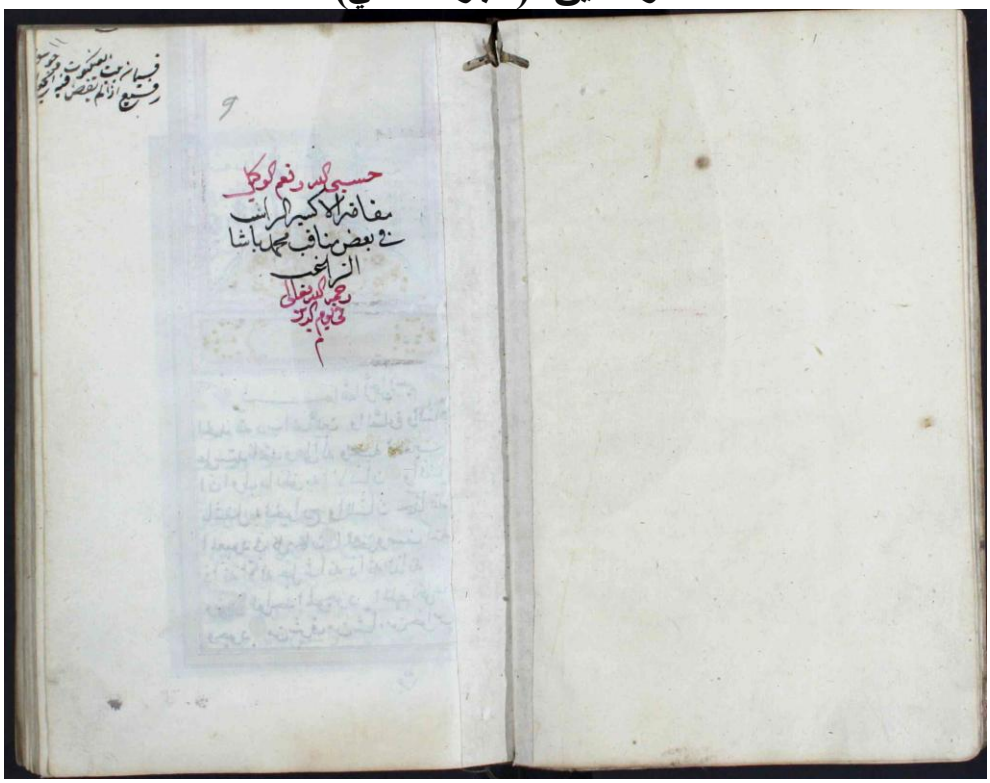

**المقدمة:**

تعد المقامات إحدى الفنون النثرية التي ظهرت أواخر العصر العباسي وتحديداً في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهي شكلا من أشكال السرد تميزت بصورة استقرت أصولها، ورسخت دعائمها، ووضعت مقوماتها، فصارت نوعاً أدبيا، ولوناً من ألوان النثر له خصائصه الأساسية، ودعائمه الفنية، بالغ أصحابها اهتمامهم باللفظ والأناقة اللغوية وجمال الأسلوب، فغدت ضرباً من ضروب الإبداع والتجديد التي مر بها الأدب العربي في مختلف مراحله، ووجود المقامة ما هو إلا صورة من صور ذلك التجديد، ومن هنا تحولت المقامة إلى مادة تعبيرية تحمل بين طياتها رموزاً لأحداث ووقائع الحياة اليومية، فطوعت اللغة، وزجت بها في مغامرات إبداعية تجمع بين طرافة الموضوع، وجزالة الأسلوب، وبراعة التركيب، بأسلوب مسجوع في أغلب الأحيان، تتضمن ملحاً ونوادر، وعظات، تعبر عن رؤية مبدعها، وروح العصر الذي نشأت فيه، فحققت منذ ظهورها قيماً فنية وجمالية وفكرية، ومثلت البواعث الإنسانية والظروف التي دفعت الكاتب إلى اختيار هذا الجنس، وكان الأدباء يتبارون فيها لإظهار براعتهم اللغوية، والأدبية، يقول عبدالرحمن عطبة:" وقد وضِعت في الأساس لغرض فني، إلا أن إغراق أصحابها في الصنعة والتكلف البلاغي، وفي إظهار البراعة اللغوية جعلها من الوجهة القصصية الفنية بعيدة عن تناول الدارسين المحدثين على الرغم من أنها أجدر الآثار الأدبية بالدراسة"،(عطبة، عبدالرحمن، المقامة البغدادية للهمداني، من بواكير القصة الفنية في معايير النقد الحديث، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس،1988، ص35).

**المقامات في العصر العثماني:**

كثرت المقامات في العصر العثماني، وتنوعت موضوعاتها، وأقبل عليها الكتاب والأدباء، وهم يسعون للرقي بهذا الجنس الأدبي، وتطورت أحداثها، وتعددت موضوعاتها، وطرق الكتاب موضوعات جديدة من الواقع المعاش، فصارت المقامة في العصر العثماني تستقل بحدث معين، وهنا لعلنا نلحظ أن القليل من كتاب المقامة في هذا العصر من حافظ على صورة المقامة المعهودة عند من سبقهم في كتابة المقامة، وكانت تقوم على راوية وبطل، تتسلسل أحداثها في كل مقامة حتى نهايتها، فقد تغير نمط كتابة

المقامة في هذا العصر، حتى يمكننا القول: بأن المقامة في هذا العصر صارت بمثابة سجل تاريخي لبعض الحوادث المهمة التي اعترت هذه الحقبة، وهنا لحق التغيير شكل المقامة، فحل الكاتب نفسه محل البطل والراوي في بعض الأحيان، فجاءت بعض المقامات على شكل المقالة، واستهلت بالبسملة والخطبة ثم الموضوع، وهذا ما لحظناه في مقامة الجراعي في بحثنا هذا، فجاءت المقامة أيسر عبارة، وأخف تكلفاً من مقامات أخرى في عصور سبقتها.

**مخطوط الأكسير الراتب:** (مقامة الأكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب)، للشيخ إسماعيل بن عبدالكريم بن محي الدين الجراعي، جاء المخطوط في تسع وعشرين لوحة، كل لوحة بها سبعة عشر سطر، مكتوب بورقة الغلاف عنوان المخطوط( مقامة الأكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب) في منتصف الصفحة، تحصلنا على المخطوط من مكتبة السيدة زينب بالقاهرة، المقيدة تحت رقم436، مقاس:21*16، ورقم تسلسلي ضمن فهرس مخطوطات مكتبة السيدة زينب بالقاهرة تحت رقم 4602.

استوعبت المقامات العديد من الموضوعات الأدبية، كموضوعات المدح والإشادة التي يؤدي بها صاحب المقامة ما يؤدي بها الشاعر بشعره من مدح، ومن هنا جاء المدح غرضاً رئيساً في مقامة الجراعي، الموسومةبـ( الإكسير الراتب في مدح محمد باشا الراغب)، فكتب الجراعي مقامته هذه موضوع بحثنا هذا.

**الناسخ: محمد بن علي البركوي.**

**محمد باشا الراغب:(1698–1763م ـــــ 1110–1167ه).**

ترجم له الزركلي صاحب الأعلام بقوله: "سياسي عصامي تركي عالم بالعربية، مولده ووفاته بالآستانة، تدرج في مناصب الدولة من كاتب صغير إلى محاسب للخزينة إلى "مكتوبجي" للصدارة، عين والياً بمصر سنة (1159–1161ه) وفتك بالمماليك، ثم واليا بالرقة، فوالياً بالحسبة 1168، فواليا بالشام وأميرا للحج سنة 1170، وولي منصب الصدارة العظمى، فبقى فيه ست سنوات وأشهراً، على عهد السلطانين عثمان الثالث، ومصطفى الثالث، تزوج بصالحة سلطان أخت السلطان مصطفى، جمع مكتبة حافلة تعرف باسمه، ودفن بجوارها بالآستانة، وفيها مؤلفاته، وهو مؤلف " سفينة الراغب ودفينة الطالب، ط"، ومجموعة أدب وأبحاث بالعربية، يقال لها " سفينة العلوم"، وله " منتخبات.خ" من شعر المتقدمين، وفيها بعض أشعاره، و" رسالة في العروض. خ"، وكان ينظم الشعر باللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية، وله في كل منها " دوان"، خلف آثارا عمرانية في حلب وغيرها. **(الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط: الخامسة عشر، أيار ـ مايو 2002م، 123/6).**

**أسباب اختيار المخطوط:**

وقع اختيارنا على تحقيق مخطوط (مقامة الأكسير الراتب في مدح محمد باشا الراغب) تأليف الشيخ إسماعيل بن عبدالكريم بن محي الدين الجراعي، إذ يتناول هذا القسم مدح محمد باشا الراغب، وهو موضوع المقامة الرئيس التي كتبها الجراعي، ويعد هذا المخطوط جزء من التراث الأدبي الذي يؤكد أصالة هذا الفن، "فن المقامات" وعراقته، وحرصا منا على إحياء هذا الإرث الأدبي لهذا الأديب الفقيه، عزمنا على دراسة هذا المخطوط، حيث لم نقف على من تناول هذه المقامة بالدراسة أو التحقيق، كما ترجع أهميتها البالغة من حيث تناول الأديب مادحا ومشيدا بالوالي، محمد باشا الراغب، فكان له دور مهم في الحافظ على هذا الإرث الثقافي الذي يمثل جزءً هاما من التراث الأدبي الأصيل، إذ تتجلى في معانيها العضة، والنصيحة، والحث على صحبة الأخيار.

**أهميـــــــة المخطوط:**

تأتي أهمية هذا المخطوط كونه نموذجا يحتوي معالم فن المقامات في الأدب العربي، فصارت نوعاً أدبيا، ولوناً من ألوان النثر له خصائصه الأساسية، ودعائمه الفنية، بالغ أصحابها اهتمامهم باللفظ

والأناقة اللُّغوية وجمال الأسلوب، فغدت ضرباً من ضروب الإبداع والتجديد التي مر بها الأدب العربي في مختلف مراحله، ووجود المقامة ما هو إلا صورة من صور ذلك التجديد، ومن هنا تحولت المقامة إلى مادة تعبيرية تحمل بين طياتها رموزاً لأحداث ووقائع الحياة اليومية التي تحتوي على معالم التراث وأصوله، وهذا المخطوط من المخطوطات الأدبية القيمة التي لم تلق أي اهتمام من قبل الباحثين.

**منهج التحقيق:**

قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة، ومطلبين، إذ اعتمدنا على المنهج التاريخي في دراستنا لهذا المخطوط، وذلك لما يقتضيه موضوع المخطوط، وطريقة عرضه، وهي كما يلي:

**المقدمة:** وفيها: التعريف بفن المقامات، ومخطوط مقامة الأكسير الراتب، وأسباب اختيار المخطوط، وأهمية المخطوط، ومنهج التحقيق.

**المحور الأول/ القسم الدراسي:** وفيه: المقدمة، وبها التعريف بمخطوط الأكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب، وأسباب اختيار المخطوط، وأهمية المخطوط، ومنهج التحقيق.

**المحور الثاني/ القسم التحقيقي:** وفيه: مقامة الأكسير الراتب في بعض مناقب محمد باشا الراغب، ( النص المحقق)، وترجمة المصنف إسماعيل بن عبدالكريم الجراعي.

**القسم التحقيقي:**

**مقامة الأكسير الراتـــب:**

ظلت المقامات لفترات طويلة غائبة عن أنظار البُحاث والدراسات الأدبية، أي أنها لم تحظ باهتمام الباحثين، وهذا لايعني أنهم أهملوا هذا الفن كليا بل المقصود هو أن النثر بشكل عام والمقامات على وجه الخصوص نالا أقل اهتمام بالمقارنة إلى ما ناله الشعر العربي من سمو المكانة.

ومما استوعبته المقامات من موضوعات أدبية، موضوعات المدح والإشادة، التي يؤدي بها صاحب المقامة ما يؤدي بها الشاعر بشعره من مدح، ومن هنا جاء المدح غرضاً رئيساً في مقامة الجراعي، الموسومة بـ (الإكسير الراتب في مدح محمد باشا الراغب)، فكتب الجراعي مقامته التي استهلها بمقدمة طويلة بدأها بالبسملة والحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه المقدمة موضوع اهتمامنا لتحقيقها وكشف مبتغاها، فقسمنا بحثنا إلى قسمين:

**القسم الأول:** ويتناول فيه الجراعي مقدمته التي استهل بها المقامة، فكان هذا القسم مخصص للمقدمة، والشكوى من الزمان، ورحلته إلى الجامع الأزهر، والجلوس بين يدي علمائه، وقد قمنا بتحقيق القسم الأول ونشره ضمن منشورات المجلة اللغوية التي تصدر عن كلية اللغات، جامعة الزيتونة، العدد السابع يونيو 2023.

**القسم الثاني:** يتناول هذا القسم مدح محمد باشا الراغب، وهو موضوع المقامة الرئيس التي كتبها الجراعي، وهو موضوع بحثنا الحالي.

**المصنف :( الجراعي 1134ـــــ1202هـ) (ينظر ترجمته عند: (العامري، محمد كمال الدين بن محمد الغزي، النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل من سنة 901 ـ 1207 هـ، جمع وتحقيق: محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة. دار الفكر، ص 325. والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بن حميد النجدي، تحقيق: بكر بن عبدالله أبوزيد، وعبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة،1/ 285. وفي مختصر طبقات الحنابلة، الشيخ محمد بن جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي، دراسة فواز الزمرلي، دار الكتاب العربي، ط1ـ 1986م، بيروت، ص 135، وروض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، الشيخ محمد جميل الشطي، دار اليقظة العربية ـ دمشق ـ ص50) :** إسماعيل بن عبدالكريم بن محي الدين بن سليمان بن عبدالرحمن بن عبدالهادي بن علي بن محمد بن زيد الشهير بالجراعي الدمشقي، النابلسي الأصل، مفتي الحنابلة، ولد بدمشق في الخامس من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وبها نشأ وقرأ القرآن، ومهر في الفقه، يصفه الغزي بقوله: "كان طويل القامة، بشوشا متواضعا، لطيف الحاضرة، حلو المذاكرة، بديع النكتة والنادرة" (**العامري، محمد كمال الدين**

**بن محمد الغزي، النعت الأكمل ص 328)**، توفي في الحادي عشر من جمادي الأولى سنة اثنتين ومائتين وألف بداره، بمحلة سويقة صاروجا، ودفن بمرج الدحداح، رحمه الله تعالى.

**التحقيق :**

## مقامة الأكسير الراتب في مدح محمد باشا الراغب للجراعي ( القسم الثاني )

حجة الله على أقرانه، المبرز على أهل زمانه، المتصدق المسدي، والمولي المجبر المجدي، مولانا الوزير الأعظم، والدستور المكرّم، محمد راغب باشا، بلّغه الله تعالى من الخير ما يشاء، من أصبحت تسمو به دولته العلية على سائر الدول، وتفخر به صولته السمية على الآواخر والأُول، زاد الله تعالى علمه وعمله، وبلّغه من خيري الدارين مراده وسؤله وآمله، بجاه النبي المصطفى. **(هذا توسل ممنوع، وضابطه أن يتوسل الانسان إلى الله بما لم يُثبت شرعاً، أنه وسيلة، ومن ذلك التوسل بالأموات، فإنه محرم و شرك أكبر مخرجاً عن الملة، ومن هذا أن يتوسل الانسان بجاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على القول الراجح، وذلك لأن جاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أعظم الجهات عند الله عز وجل، ولكنّ الجاه لا ينتفع به إلا من استحقه، وأما الداعي فلا ينتفع به لأنه لا يستفيد منه شيئاً).**

والنبي عليه الصلاة والسلام منزلته عند الله إنما تكون نافعة له وحده، أما غيره فلا ينفعه عند الله إلا الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام، وبما جاء به وما كان وسيلة شرعية ( فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، في برنامج نور على الدرب، رقم الفتوة 237، وقد نشرت مكتوبة ومسموعة، يم 6/ 5/ 2025، على محرك البحث. ) خير من سعى وأغنى فقيراً من جِداه ومُفرغا.

قم فألقه في الدست يلقى به  النّعمان قـد فـاه بفصل الخطاب

واكتفِ أنّ الشّمس قد أُشرقت  وانجاب عن نور سناها الحجاب **(انجاب السحاب: انكشف، وانجاب الظلام انقشع وزال وتبدد، تاج العروس من جواره القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق 387)**

فقلت له يا مولاي لله درك من إمام ما أفصحك، وهُمام ما أنصحك، فزدني من أوصافه، وميزه لي عن خلافه، فقد زال كربي بعد ما زاد أولاً، وطاب استماعي بعد ما طال بي البلاء، فقال لي: يا ولدي أما والله لئن أردت حصر أوصافه الجليلة، أو الإعراب عن أخلاقه الجميلة، فقد أطمعتَ نفسك بالمحال على كل وجه وحال، بيد أني أسلك مسلك الاقتصاد، واذكر لك بعضا على سبيل الاختصار، وإذاً فأقول والله تعالى المرجو المأمول، اعلم يا ولدي أن هذا الوزير الأعظم، صاحب المقام العالي المنيف، وجامع الفخر والمجد الشريف، والمانح بره بلا توقف ولا تسويف، هو عمدة العلماء وعدة الفهماء، رافع منار الشريعة ومشيّد حصونها المنيعة، مالك زمام البراعة وحاوي بهجة اليراعة، شعر:

**قد حـــــاز من كـل علـــــم خير  وحاز من كل فضل أرفع الرتب**

**فهو الإمام الذي يحيى الوجــود به  لأنـــه دافع الأوهـــام والريب**

ولا غرو فهو بحر العلوم الزاخرة، وكنز جوهرها العزيز الفاخر، متى ذكر علم التفسير كان لفظه الدّر المنثور، وحفظه الفضل المأثور، كشّاف المشكلات الغوامض، ودافع المعضلات الرواكض، ولئن تكلم مهين لئيم، أو عادل أو ابن عادل كريم في هذا الفخر الزائد العميم لا قولنّ لا تعجبوا يا هؤلاء فإنما هو فتح العليم، ولا غرو أن تحصل العنايات الربانية والإفاضات الصمدانية لذوي التشريفات المحمدية، وأصحاب الهمم العلية المرضية، لاقتفى بهم آثار من هو جامع العلوم والأسرار العلمية فهو من الاتقان فوق الحد فما الماوردي، **(لعل الجراعي يقصد به ناصر الدين أبو الخير عبدالله ابن عمر ابن محمد البيضاوي، قاضٍ وإمام مبرز من بلاد فارس، تولى قضاء شيراز، أثنى العلماء عليه، وعلى مؤلفاته، وأبرزها: المنهاج الوجيز في أصول الفقه، وتفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لخصه من تفسيري الزمخشري والرازي، وأضاف إليهما ملاحظات في مواضع كثيرة، ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز، ولم تذكر كتب التراجم تاريخ والدته، توفي في تبريز سنة 691 هـ، ينظر طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية ط1/ ج8، ص157 ).** عنده أو ناصر الدين كريم الجد ومتى ذكر علم الحديث كان نقله الحسن الصحيح وبرّه المتواتر المسلسل الواضح الصريح، وقدره العالي المرفوع، وعدوه النازل الموضوع كم استدرك وهو

الحاكم أحكاما فضبطها، وكم جمع وهو العمدة لشتات علوم كاد الجهل أن يسقطها، فدلائل الخيرات فيه كثيرة ومراتب الصحيح من أوصافه شهيرة، ومتى ذكر علم القراءات فهو صاحب الطي والنشر(**هو أبو الحسن علي ابن محمد ابن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، درس بالبصرة وبغداد، وله مصنفات كثير في الفقه والتفسير، وأصول الفقه والأدب، مات ببغداد، ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان ابن الذهبي، تحقيق ـ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3/ 1985، 18/ 64)**، ولفظه المحكم كل واحدة منه تقابل بالسبع بل بالعشر، فإن تكرر لفظه كان كالسكر المكرر وإلا فهو الموجز والمُحرّر.

**حَبْرٌ به رسم الكتابة قد سما وبجوده قد أُحسن التجويد**

وإن ذكر علم الفقه كان كنز الدقائق، وجامع الرقائق، وغاية البيان، ونهاية البرهان، فهو السالك منهج الهداية، وحائز المختار في العلوم بل اللباب والنهاية.

**بحر العلوم وصاحب التهذيب فله البيان وغاية التقريبِ**

ومتى ذكر علم النحو كان قطر الندى في نداه، وشذور الذهب في عطاياه، فأحكامه هي المصباح المنقذ في ظلمة الجهالة، وعوامله الواقفة في خفض الغي والضلالة، نعته شريف، وتوكيده منيف يُجْبِر الكسير، ويعطف على الفقير، لا على سبيل الرد والبدل، ويبث علومه على غير وجه الجدل، تواتر عنه الخبر أنه فاعل الخيرات ومسديها، مبدأ المبرات ومبديها، شعر:

**فتوضيحه مغني اللبيب عن السوى ومبراته الخيرات اذ هي كافية**

**ومن منحِ كفاه شادت قـــواعداً لداءأتِ أرواح المحبين شافيه**

**بإيـضاحـه الســهل في كل جملة فكم زينت ألفاظه كل قافيه**

وإن ذكرت العلوم العقلية، والأنواع المنطقية، والعلوم الإسرارية، كان مفتاح باب التلخيص في كفه، ومواقف السادات من بين يديه وسيرهم من خلفه قطب السرور(**وفي هذا إشارة إلى كتاب قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور لأبي اسحاق إبراهيم ابن القاسم القيرواني المتوفى 425 هـ)**، مستفاد من لفظه المختصر والمطول وعباراته كالشمس في كل علم عليها المعول، إمام في البيان وفي المعاني، جرت من بحر فكرته عيون، وابرَزَ من جواهره المعالي، فقُرَّتْ من بَدَائِعِهِ عيونُ، ولئن اعترض رفيع أو دني، فأجيبه في هذا المعنى، شعر:

**من ذا يساوي في الورى إنشأوه في حالة الأطناب والإيجاز**

**كم للبديع مواقـــع من لفظـــه بلغت مواقع مبلغ الاعجـــاز**

كيف وشمس المعارف في رياض علومه مشرقة، ولطائف العوارف أنوارها بمجالسه محدقة، ابقاه الله بقاءً لا يعتريه زوال خالٍ من كدورات الدهر، وما تعده الليال، فقلتُ له : يا مولاي تالله لقد أمِنْتَ بعد الفزع، واطمئننتَ بعد الجزع، فزدني من هذه الأوصاف فإنها غذاء لروحي والبدن وسائر الأطراف، فقال لي: يا ولدي ماذا أقول في صاحب العلم والحلم والحكم، المدبر نظام العالم بالسيف والقلم، الخليق بأن يُنشد فيه ويُقال:

**لله در إمام كله حكمٌ الـحـلـم شيمته والعلم والأدبُ**

**لو أدرك السابقون الشّمّ سيرته لقيل في حقه هذا هو العجبُ**

فلئن مدحتَ عنده الجواد الأفضل فقد ظلمته، أو شكرت معه البراكمة، (**أسرة فارسية ذات شأن، ينسبون إلى جدهم الأكبر برمك، كان رجل عالم بالطب والتنجيم، وقد حظي الكثير من رجال هذه الأسرة بمنزلة عالية عند الخلفاء العباسيين)**، فما انصفته، إن قلتَ هو البحر فالبحر ملح لا ينفع الآدم، وهذا مورده عذب كثير الزحام، أو قلت حاتم فهو أكمل في نشر البِشْرِ وبذل الإنعام، شعر:

**هـو الـبـحـر إلا إنـه غير مالح  بـل الـبـــدر إلا أنـه غير آفل**

وإنك وأن امعنت النظر والفكر، وسبحت في بحر الكتابة والذّكر، ودققت في ذلك نثراً ونظماً، وقدحت عقلاً وفهماً ومدحت في معاليه ومعانيه مهما، فما أنت إلا بالغ بعض بعضها، وما أنت إلا عاجز عن جميعها، فإذاً فاعترافك بالعجز أجمل، واغترافك من بحر التسليم أكمل، شعر:

**فكيف يحصى تمداح مولاً  فـي كـل علـم لـه فضيله**

**فـكن مقـراً بالـعـجز أولى  وخـلِ للـمـدعي سبيله**

ولعمرك أن ما يهدى إلى خزانة علمه في المعلومات والمعاليم، والمنطوقات والمفاهيم، إنما هو بالنسبة إلى معلوماته، والنظر إلى منثوراته ومنظوماته ككوكب ماء أُجاج، يحمل إلى بحر فرات عجاج، شعر :

**خلِ المدائح واعترف بالعجز عن  أوصاف ذي التيسير والبرهانِ**

**فلئن نظرت لمدحنا في فضله  ولــوصفنا فــي مجده والشأنِ**

ولمّا كتبناه لخلت جميعه كجرادة تُهدى إلى سلطان فقلتُ له يا مولاي إذاً كيف الوصول لخدمة جنابه، والدخول من باب التمثل في أعتابه، فقال لي : يا ولدي الأدب الأدب، إياك وهذا الكلام الذي لا يعرب، إن وارد البحر لا يحتاج إلى حيلة، ولا قدح فكرة طويلة، اللهم إلا أن تمنحه شيئاً من الدعوات، وبجملة من الأبيات، فإنه وإن كان ذو الفصاحة عنده كالأبكم، فصاحب العقل لديه كالأبله الأيلم، ففي وسع دائرة حلمه وعزيز همته وغزير علمه، ما يؤدي إلى قبول ما تقول، وهكذا شيم أرباب العقول فقلتُ له يا مولاي : ما أحرى هذا المولى بأن يكون فرد الزمان الذي يجب أن يُقصر عليه الثناء، ويُعترف بالعجز عن لحوق شاوه أولوا النهى، ويجزم بأن أوصافه السنية لا يفي ببعضها إلا الكلام الجامع في مصقع أحاط من دقائق البيان بكل شاسع، وهذا من الأمور العلية التي تنقطع بعاجز مثلي عنها المطامع، غير أني تلذذت بصفات هذا المولي، فجال القلم في الطرس طرباً، فحثثت الفكر على الجري في رياض محاسن السيد فكبأ، فوقفتُ للتأمل فيما أتيت، فلم أرَ غير التقصير، واقتصُ من القلم بقطع لسانه عن مثل ذلك التحرير، فيتلوا بلسان حاله (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، لِمَ تكلفني من صفات هذا الوزير الكامل مالا أستطيع جمعها، فهلا عاقبت فكرك الذي هو عاجز عن العد ثم يتشوق إلى الاحاطة بما لا يحد، فأرجع حينئذ إلى الاعتراف، فإني لستُ ممن يحسن الغوص على استخراج درر هذه الأصداف، افتراني سيدي مع هذا العجز والحيرة، وتكلفي مالا تفي به بضاعتي اليسيرة من ألفاظ، إن أطلت فيها أملت، وأن اختصرت بعدها أخللت، فعلى هذا الحال كيف أصنع، وبمن أتوسل واتضرع، ولكن ابتدأ بالدعوات الصالحات عسى أن يسهل الله تعالى عليّ الاتيان بالأبيات، قد مددتُ أكف الطلب والسؤال، ويدي التضرع والابتهال، إلى الفتاح المجيد الوهاب الحميد، متوسلاً إليه بأشرف رسله وأنبيائه، وأجل جلة حملة أنبائه، محمد النبي المختار من آل معد ونزار، أن يؤيد مولانا وسيدنا الوزير الأعظم والدستور المكرم عين الوزراء الذين دانت لهم البلاد فابتسمت فرحاً بحسن سياسته وتدبيره ثغور البلاد وأن يحفظه بحفظ تقر به عيناه، ويحف به السعد من بين يديه ومن خلفه وعن يمناه ويسراه، كما حفظ به فاروق فأصبحت تميس بحلل الأمن الموشية بعدله وتقسم غير حانثة إنها ما ظفرت قط بمثله، وأن يبقيه لتبقى رفعة المجد والمكارم، وتصل إلى مطالبها المرضية، أبناء الأماجد والأكارم أدام الله تعالى أخمسيه واطئة للمعالي وأبقى له العز ما بقيت الأيام والليالي، وأن يعطيه من السعادة أجلها وأجملها، ومن السيادات أسماها وأكملها، ومن الأرزاق أحلها وأجزلها، ومن العنايات أعمها وأشملها، ومن الستور أحسنها وأسبلها، ومن الحظوظ أوفرها وأمثلها، ومن الإخوان أزكاها وأفضلها، ومن المقامات أعلاها وأرفعها، ومن الوقايات أقواها وأدفعها، ومن البنين ما تقر به العيون وتسر به أرباب الفنون، ومن المراتب أسماها، ومن حلل التقوى أسناها، ومن الوعود أوفاها، ومن الدروع أوقاها، ومن الأعمال خيرها، ومن الأولياء سرها، ومن الملوك برّها، ومن الحِكَمِ أشرفها، ومن الألفاظ أظرفها، ومن المنظومات أرقها، ومن المنثورات أدقها، ومن الأحكام أحكمها، ومن الروايات محكمها، ومن الأقوال أصدقها، ومن الوجوه أطلقها، ومن الخيرات

أسبقها، ومن الأوقات أوفقها، ومن الأقوات أرفقها، ومن العقول أحدقها، ومن النسائم أعبقها، ومن المعايش أهناها وأرغدها، ومن القسم أصفاها وأسعدها ومن العواقب أجلاها وأشرفها وأحمدها، شعر.

**فضلا فيعلوا على الأقران مرتبة  عليا فلا أحد فخراً يدانيها**

فلا زالتْ تفتخر به البلاد على الأوائل والأواخر والصدر يشهد له عن يقين أنه البحر الزاخر، مشرقة سماءِ كماله بأنوار بذورها محدقة رياض جماله بأنوار زهورها، شعر

**ولا برحت تسموا به أهل عصره  وتغري إلى علياه كل الفضائلِ**

**وأشجار روض العدل أغصانها تُرى  عيانا عن الأيمان بل والشمائلِ**

**بجاه النبي المصطفى صاحب الوفاء  نـبـي حـبـاه الله أزكى الشمائلِ**

فقال لي: يا ولدي فقد أجدت وأحسنت وتوسلت قدر الطاقة وما قصرت، وما بقي إلا القصيدة وإن لم تكن خريدة فقلت له: يا مولاي وإني وإن كنتُ لا فصاحة في لساني، ولا طول لبناني فها أنا أمدحه بما تيسر من الأبيات المتوالية، وإن كانت من البديع خالية وها هي لمن قرأ يعاين ويرى، شعر

**حلا كل ما يختار من مهجتي الوقف  عـلـيـه فـما لستُ اسمـــعه كُفُوَا**

**فـربّمـا أغري المتـــــيم لائـم  فأصبح مـشغوفاً بما دونه الحتفُ**

**بروحي غزالاً صاد قلبي بما غدت  تمـــدّ من الاشراك أهدابه الوطفُ**

**غفى عن مراد الصبّ يلهو بذلـــه  خـلـيـاً وأجـفـــان المتيم لا تغفُ**

**وعهدي بأن القلب بين جوانـــحي  ومأمولـــه من ذلك الرشا العطفُ**

**فلم يبق ليّ إلا تتابع زفـــــرةٍ  تلت مثلها أخرى وأعقبهـــا ألفُ**

**ودمع مشوب بالدمـــــا ظلّ هاطلاً  على صفحات الخدّ أو مدمع صـرفُ**

**خليليّ ما بـذل المتـــيم روحـه  عزيزاً وما أحلاه إن رضي الخشـــفُ**

**فقولا لمن قد أكثر العذل جـــاهلاً  بحال الهوى أقصر جفا فمك الحـــرفُ**

**سلوّي محال عنه مـــا دام ينتمي  لأخـــلاق من جلت فضائلـــه اللطفُ**

**وزيرٌ لو أن الدهر جـــاد بمثله  لما انحصرت فيه المعـــارف والعرفُ**

**له راحة في لثمـــها كل راحة  وكفٌ بهـــا وقع النوائب ينـــكفُ**

**وزيراً حلّى أسماعنـــا بصفـاته  ففي كـــل أذن من محاسنهـا شنفُ**

**تأرجت الأرجاء من طيب نشرها  وفـي كل قطر فاح قطـــر بها عرفُ**

**تطأطىء رأس المرء منه مهابـــة  يغض لها من مبصري وجهـــه الطرفُ**

**له همم تعـلو على الدهر هامها  ونفس بهـــا كل الكمـــــالات تحتفُ**

**قد أبيض وجه الفضل لما تسودت  بأقلام تحريـــراته الغـــرر الصحفُ**

**إذ فهمه أبدى فريـدة نكـــــتةٍ  تلاها بأخرى ثم أخرى لهـــــا تقفُ**

تـفـرد بالـتـحـقـيق لأن نصـــفه ... له ولأهل الفـضل كلـــهم النصـــــفُ

ومُـيـز بالـعرفان حتـــــــى كأنه ... بـــــما نالـه صنـــف وكل الوراء صنفُ

وضـــــــم لأعلى شدة البأس دقة ... بهـــــا كمـلت فيه اللطافـــة والطرفُ

فسبحان من أولاه عـــــزاً مؤملاً ... ورفعة قدر كلّ عن حصرها الـــوصفُ

فيا مصدر الإحســـان يا خير سيد ... لـــوارد عـلياه مناهلـــــــــــه تصفُ

فقد جاء اسماعيل نحـــوك مُهْدِياً ... قوافي في نشـــــر الثناء لـــــها عرفُ

تضمن نذراً في صفاتـــــك والذي ... به لم تحظ منها لعمـــــــري هو الضعفُ

يؤمل فيها منك أكســـــــير نظرة ... ليُؤمنَ في جور الزمان بها العســـــــفُ

فقد ضـــــاق فيه الأمر واتســعت ... به خروق الدواهي الدهم واضطرم الخلفُ

وإن يد الألاء لا بهمـــــــتك التي ... سمتْ إن قضـــــــاها خرق لأوابه يرفُ

فلا برحت آثار نعمـــــــاك سيدي ... تبيـــــن على مـــرّ الليالي ولا تعـــــــفُ

ولازلتَ في حفظ من الله دائـــــــم ... وأمنٍ من الأكـــــــــــدار يصحبه اللطفُ

مدى الدّهر ما اسماعيل ظلّ منشداً ... حلى كل ما يختار من مهجتي وقفُ. (المنشد هنا للقصيدة هو اسماعيل الجراعي صاحب المخطوط، وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن هذه القصيدة من نظمه، أنشدها في مدح محمد راغب باشا، والجدير بالذكر إننا لم نجد هذه القصيدة في كتب التراجم، أو دواوين الشعر العربي).

فقال لي: يا ولدي زاد الله تعالى شأنك، وأوضح برهانك، لقد آن قدومك عليه، ووقوفك لديه، فاذهب إليه بارك الله تعالى فيك، ومن داء الفاقة أساله أن يشفيك، وها أنا قد جئتُ يا ذا المعالي أرجو من فيض فائض فضلك أفاضلا، واقتبس من نور ضياء منحك نوالا مغترف من بحر جودك الزاخر، معترفاً بالتقصير عن وصف مجدك الفاخر، قائلا بلسان حالي، كناية عن صريح مقالي.

العفو من مثلكم جميـــــل ... والعبدُ مثلي مازال يهفُ

إن كنتُ أخطأتُ في نظمي ... فأنت يا ذا الجميل تعفُ

فلا تخيب ظن راجٍ قصدا على بابك، ولاذا بعزك، و جنابك، ولازلتَ كهفاً للفقراء وملاذاً للأمراء، وإماماً للكرماءَ، وعماداً للفهما، وكنزاً للعافين، ومحلاً لمحط رحال الوافدين، وحلماً للأكابر، ومحل مدح ألسنة الأقلام وأفواه المحابر، وقد أتيتُ وجلاً، وسلمتُ خجلاً، ولكن لا يعاب لمن لهذا الجناب سُئِل، فإن في الكرم والجود عليه المعول، نسئل الله تعالى أن يبقيك للمعالي، والفخر العالي، معتمداً لمعروف تصنعه، وشكراً تستمعه، وبراً تجدده، وفقيراً بالخير تتعهده.

فدم وابقَ واسلم واسمِ واعطف وجد وسد، وصل وارض وامنح واقهرنّ الأعاديا، دمْ كما تريد وتختار، تجري وفق مرادك الأقدار، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد أولاً وآخرًا، وظاهرا وباطنا، وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، والحمد لله رب العالمين.

**الخاتمة:**

ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة ما يلي:

1- تُعد المقامة أحد فنون النثر العربي التي تعالج كثير من القضايا الاجتماعية في حلة من اللفظ، وجودة في السبك، وجمال في السجع، فينجذب إليها السماع ويعجب بصياغتها.

2- كتبت المقامات بهدف توصيل العظات الدينية، والنصائح الخلقية إلى المتلقي بعبارة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف.

3- حفلت المقامات بالكثير من الخصائص الفنية في اللغة والأسلوب، ويظهر ذلك جليا في اهتمام كتابها باللغة وتركيب الجمل، بالإضافة إلى التصوير الفني الذي يقوم على المحسنات اللفظية والمعنوية.

4- استطاع فن المقامة أن ينافس باقي الفنون الأدبية الأخرى، بل يكاد يتفوق عليها في عصر الجراعي.

**قائمة المصادر والمراجع:**


- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

1- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط: الخامسة عشر، أيار ـ مايو 2002م.

2- تاج العروس من جواره القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق 387.

3- خزانة الأدب، وغاية الأرب، تأليف تقي الدين أبي بكر على المعروف بابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت ـ لبنان ط1/ 1987.

4- روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر، الشيخ محمد جميل الشطي، دار اليقظة العربية ـ دمشق ـ

5- السحب الوابلة على ضرائح الجنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد النجدي، تحقيق: بكر بن عبد الله أبوزيد، وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة.

6- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن عثمان ابن الذهبي، تحقيق ـ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 3/ 1985.

7- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية ط18.

8- مختصر طبقات الحنابلة، الشيخ محمد بن جميل بن عمر البغدادي المعروف بابن شطي، دراسة فواز الزمرلي، دار الكتاب العربي، ط1ـ 1986م، بيروت.

9- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل محمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري، من سنة 901 ـ 1207 هـ، جمع وتحقيق: محمد مطيع الحافظ، نزار أباظة. دار الفكر.